مقدّمة

بقلم أ. د. لويس صليبا

يطيب لي أن ألبّي طلب باحثةٍ نشيطةٍ كالدكتورة فاتن الحاجّ حسن، أن أضع مقدّمة كتابٍ هو باكورة مؤلّفاتها. وفي الحقيقة فهي عندما عرضت عليّ ذلك ما استطعتُ إلّا الموافقة. فالموضوع لا يسمح لي بالتهرّب، رغم ضيق الوقت، وكثرة المشاغل. ففؤاد شهاب: الأمير واللواء والرئيس، وما أكثر ألقابه وكلّها تؤكّد أنّه كان عصاميّاً عظاميّاً في آن، ظاهرة استثنائيّة في تاريخ لبنان وتستحقّ المزيد من العناية والدراسة والتبصّر واستخلاص العِبر.

شهاب أبرز شخصيّةٍ في تاريخ لبنان الكبير

وممّا لا يبرح ماثلاً في الذاكرة والوجدان في هذا الصدد أنّني دُعيت لإلقاء محاضرةٍ في الجامعة اللبنانيّة كلّية الصحّة الفرع الثاني (الفنار) بمناسبة عيد الاستقلال في ٢٠١٧/١١/٢١ على عتبة المئويّة الأولى للبنان الكبير (١٩٢٠–٢٠٢٠) ويومها تمنّت عليّ الجهة الداعية، أي إدارة الكلّية، أن أتحدّث عن جانبٍ يزرع الأمل في نفوس الطلّاب الشباب المحبطين من تراكم الأزمات وتتاليها في هذا الوطن الصغير. فأطرقتُ متفكّراً متأمّلاً: نحو قرنٍ مرّ على ولادة لبنان الكبير فعن أيّة تجربةٍ مُشرقةٍ يمكنني أن أحدّث هؤلاء الشباب الجامعيّين الأحبّاء؟ ولم أجد أمامي سوى تجربةٍ واحدةٍ وشخصيّةٍ وحيدة: عهد الرئيس فؤاد شهاب ١٩٥٨–١٩٦٤. ستّ سنواتٍ أي ما لا يزيد عن ٦٪ من مجمل الحقبة التاريخيّة التي سأتناولها، ورغم قصر هذه المدّة فقد حوت أبرز الإنجازات من عمر لبنان المعاصر وتاريخه، وهي بحقٍّ البيّنة الدامغة والتي من شأنها أن تنقض مقولة القائلين إنّ لبنان الكبير خطأ تاريخي، وهو ما تبسّطتُ بدراسته في كتابٍ

لي عرف رواجاً ملحوظاً فطُبع حتّى اليوم ثماني مرّات.[١]

وممّا قلتُ في محاضرتي تلك: ستُّ سنواتٍ قضاها الجنرال الأمير والرئيس فؤاد شهاب في الحكم (١٩٥٨-١٩٦٤) كانت حافلةً بإنجازاتٍ لم تعرفها أكثر العهود الباقية، بل كلّها. سعى الأميرُ الرئيس بفاعليّةٍ ونجاح إلى إرساء أسسِ دولةٍ عصريّة. ولكنّه اصطدم بما سمّاه جدار المال، وبالفاسدين "أكلة الجبنة"، وزعماء الطوائف الذين يفرضون تجاوزاتهم على كلّ العهود.

وختمتُ عرضي بالقول: حسْبُ الرئيس شهاب نزاهتَه وتعفّفه. حسْبُه أنّه لم يجدّد رغم طلب أكثر اللبنانيّين والنوّاب منه ذلك. في حين أحرق غيره البلد ولم يسأل عنه في دأبه الحثيث للتجديد وأحداث ١٩٥٢، ١٩٥٨، ١٩٨٨، ٢٠٠٤، دلائل وبيّنات على ذلك.[٢]

ميّزاتٌ في شهاب الرئيس لم تتوفّر في سواه

واللوحة التي ترسمها دراسة دة. فاتن عن فؤاد شهاب شخصيّةً وهويّةً وخلفيّةً تاريخيّةً وعائليّةً هي والحقّ يقال متكاملة إلى حدٍّ بعيد، ما يجعل القارئ يخرج ببورتريه عامّاً واضحاً عن هذا الرجل الذي حكم لبنان ردحاً من الزمن، وكان له تأثير حاسم في تاريخه قبل جلوسه في سدّة الرئاسة وخلاله وبعده.

ولم يقيّض لمن سبق شهاب ولمن تلاه في الحكم ما قُيّض له من عوامل ومعطياتٍ وجذورٍ تاريخيّةٍ وأسريةٍ ساعدت في إيصال السفينة إلى برّ الأمان. فهو المسيحي الكسرواني الماروني ذو الأصول العائليّة الإسلاميّة الممتدّة إلى قريش قبيلة الرسول. وهذه الجذور الإسلاميّة العريقة يسّرت له قبولاً بل تأثيراً فاعلاً في النصف الآخر من الوطن. تروي المؤلّفة (ص٢٣): "كان يحلو له [الرئيس شهاب] القول لبعض

---

١ صليبا، د. لويس(٢٠٢٢) لبنان الكبير أم لبنان خطأ تاريخي: نزاعات على الكيان نشأة وهويّة، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط٨، [ط١: ٢٠١٥]، ٤٢١ص.

٢ صليبا، د. لويس(٢٠٢٢) لمحات من تاريخ لبنان الحديث ١٨٥٠-١٩٥٠، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط٢، ففي: فؤاد شهاب باني الدولة الحديثة، ص١٠٧-١١٠.

زائريه من الشخصيّات الإسلاميّة سواء كانت سياسيّةً أم روحيّة: "لا تنسوا أنّي فؤاد عبدالله حسن شهاب".

أميرٌ فقير يتحسّس وطأة الأزمة الاجتماعيّة

بيد أنّ هذه العراقة والأصول الشريفة لم تقي الأمير الشابّ العوز والفاقة في صباه (ص٢٣): "كانت أسرة فؤاد شهاب تعاني شظف العيش، وهذا سبب جعله يترك الدراسة ويتوجّه نحو العمل في محكمة جونيه لكي يُعيل أسرته".

وهذه المعاناة كان لها الأثر البعيد في تحسّسه للأزمة الاجتماعيّة في لبنان وهي ما ميّزه عن سائر من تعاطوا الشأن العامّ من سابقيه ومعاصريه اللبنانيّين. وكانت من أبرز دوافعه للكثير من الإصلاحات والإنجازات في هذا المجال. وبقي شهاب يحذّر وينبّه ويناضل في الشأن الاجتماعي حتّى اليوم الأخير من حياته، ففي مقابلةٍ أجراها معه العالم الفرنسي موريس دوفرجيه قبل وفاته في ١٩٧٣/٤/٢٥ بأيّام ونشرتها جريدة الأوريان لوجور في ١٩٧٣/٤/٢٩ قال الرئيس شهاب: "المشكلة الأساسيّة في لبنان اليوم وغداً اجتماعيّة. يجب إرساء توازنٍ اجتماعيٍّ في لبنان لا وجود له. وكان هذا هدفي عندما كنتُ في الحكم. ولا أعتقد أنّني كنتُ أخطأتُ في ذلك. وأرى المشكلة اليوم تطرح نفسها بإلحاحٍ أكثر".[٣]

ويروي الكاتب والمحلل السياسي اللبناني باسم الجسر عنه: "لم يفاجأ الرئيس شهاب بنتائج الدراسات التي قامت بها بعثة إيرفد، لأنّها جاءت تؤكّد نظرته إلى الواقع اللبناني واقتناعه بأنّ المشكلة الحقيقيّة أو الأساسيّة الكامنة وراء المشاكل السياسيّة والطائفيّة، إنّما هي مشكلة اجتماعيّة اقتصاديّة. وكان قد شعر بذلك إبّان خدمته في جيش الشرق، في الثلاثينات، في منطقة راشيّا والبقاع وتفهّم أهمّية المطالب الاجتماعيّة والعدالة الاجتماعيّة خلال رحلاته الدراسيّة العسكريّة إلى فرنسا في القرن الخامس". (**الجسر، م. س، ص٥٢**).

---

٣ ناصيف، نقولا (٢٠٠٨) جمهوريّة فؤاد شهاب، تقديم فؤاد بطرس، بيروت، دار النهار للنشر، ط١، ص٣٠، نقلاً عن الأوريان لوجور ع ١٩٧٣/٤/٢٩.

اللواء شهاب القائد المنتصر في معركة المالكيّة

واللواء فؤاد شهاب العسكري القائد لعلّه من القادة العرب القلائل الذين حقّقوا نصراً واضحاً على العدوّ الإسرائيلي ولا سيّما في حرب ١٩٤٨، تروي المؤلّفة (ص٣٩): "في ٥–٦ حزيران ١٩٤٨ خاض الجيش اللبناني أهمّ معاركه في قرية المالكيّة التي احتلّها الجيش الصهيوني في ١٩٤٨/٥/٢٨. وفي ٦ حزيران قبل الظهر هاجم الجيش اللبناني مواقع الجيش الصهيوني في قرية المالكيّة، وأحكم سيطرته عليها".

وتخلص الباحثة دة. فاتن الحاج حسن في هذا الصدد (ص٤٢): "يتّضح لنا من خلال البحث بروز فؤاد شهاب في حرب فلسطين وذلك من خلال قيادته للجيش اللبناني والمتطوّعين اللبنانيّين والأجانب، وخاصّةً في معركة قرية المالكيّة التي كبّد بها الصهاينة خسائر كبيرةً وحرّرها بأداءٍ بطولي".

إنّه عملٌ عسكريّ باسل ومقدام، إن كان على "قدّ" لبنان وإمكاناته العسكريّة المحدودة، فهو نصرٌ واضح ويؤكّد أنّ مؤسّس الجيش اللبناني عمل ومنذ البدء على أن يكون لهذه المؤسّسة العسكريّة الناشئة عقيدة قتاليّة واضحة أثمرت ظفراً في الحرب العربيّة الإسرائيليّة الأولى.

بين قيادة الجيش ورئاسة الجمهوريّة

وتستوقفنا ردّة فعل اللواء شهاب على مطالبة عددٍ من السياسيّين والنوّاب الموافقة على انتخابه رئيساً للجمهوريّة سنة ١٩٥٨ (ص٥١): "إذا فتحتُ هذا الباب فمن يقفله؟ من سيكون في وسعه مستقبلاً منع أيّ ضابطٍ من الترشّح لرئاسة الجمهوريّة؟ إذا وافقتُ أنا سيعتبر أيّ ضابطٍ أنّ هذا المزراب حقّ مشروع له".

وكان حدْس القائد الشهابي في محلّه، فمذّاك صار كلّ قائدٍ للجيش اللبناني مرشّحاً طبيعيّاً وبديهيّاً لرئاسة الجمهوريّة، ويسعى جهده بالحريّ للوصول إلى هذا المنصب من خلال قيادة الجيش أكثر ممّا يهتمّ بشؤون القيادة عينها والجيش

عموماً! وارتسمت، في مخيّلة اللبنانيّين نجاح التجربة الشهابيّة، "سابقة" جعلتهم في كثيرٍ من الأحيان يؤثرون انتخاب قائد الجيش رئيساً آملين تكرار هذا النجاح، وما كان القادة الذين تولّوا الرئاسة بعد شهاب، مع الأسف، عند حسن الظنّ!! إذ ليس منصب القيادة ما يصنع الرجال!

اللعبة الديموقراطيّة في انتخاب رئيس

ومنذ انتخابه رئيساً كثر الحديث عن الدور الأميركي الحاسم في تسميته، في حين نجده لم يسعَ يوماً إلى أيّ تأييدٍ خارجيٍّ أميركيٍّ أو غيره، بل إنّه لم يُحجم عن الطلب من الموفد الأميركي مورفي والسفير الأميركي في بيروت ماكلنتوك، وبصراحةٍ واضحة، عدم التدخّل في هذه المسألة (ص٥٢): "لقد تشاورتُ مع الزعماء اللبنانيّين، واتّفقنا مبدئيّاً على الموقف الذي يؤمّن مصلحة لبنان، فأرجو أن تتوقّفوا عن التدخّل في هذا الموضوع".

والمؤلّفة وهي ابنة جبيل البارّة لا تنسى أن تظهّر دور الزعيم الجبيلي العميد ريمون إدّة يومها (ص٥٣): "الذي أصرّ أن يترشّح للرئاسة ضدّ اللواء فؤاد شهاب رغم يقينه من النتيجة. إلّا أنّه أبى إلّا أن يحفظ للديموقراطيّة دورها واحترامها، فلا يقال إنّ رئيس جمهوريّة لبنان انتُخب بالإجماع كما في أيّ بلدٍ عربي".

وموقف العميد اللافت هذا ردٌّ مفحمٌ على كلّ الطروحات الراهنة والقائلة بوجوب التوافق على اسم رئيس، فأين هذا من اللعبة الديموقراطيّة التي حرص ريمون إدّة وجيله على أن تبقى سارية؟!

إنجازات الشهابيّة أرست أسس الدولة المدنيّة

ولا أظنّ أن دراسة دة. فاتن هذه تقصّر في عرض إنجازات العهد الشهابي وتحليلها وتبيان أهمّيتها، بل هي بالحريّ تتبسّط في كلّ ذلك وتفي موضوعها الكثير ممّا يتطلّب ويستحقّ، وتعلن ذلك منذ البداية إذ تقول (ص٣): "ومن أهداف الدراسة إبراز أهمّ المنجزات الإصلاحيّة والتطوّرات التي حدثت على

جميع الأصعدة". ثمّ تردف مؤكّدةً على أهمّية ذلك (ص٤): "إنّ مرحلة حكم الرئيس فؤاد شهاب، وهي مرحلة الإصلاحات في الدولة اللبنانيّة من جميع النواحي السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة تُعتبر من أهمّ مراحل التاريخ اللبناني المعاصر".

ولا نرى ضرورةً للدخول في تعداد هذه الإنجازات والتبسّط في تحليلها وتبيان أهمّيتها، فقد استوفت المؤلّفة عموماً هذا الأمر حقّه. ونكتفي في هذا المجال بالملحوظة المهمّة التالية (ص٨١): "عمل الرئيس شهاب على تحقيق العدالة الاجتماعيّة عبر وظائف الدولة والتوظيف على طريق الكفاءة، وهذا ما نراه عندما تسلّم الرئاسة، فجعل من أبناء طائفته المارونيّة، والتي كانت تحظى بنسبة ٥٠٪ من وظائف الدولة، فتراجعت إلى ٣٣٪ حسب نسبتهم في عدد السكّان".

وأيّ زعيمٍ أو مسؤولٍ يقتدي بفؤاد شهاب في هذا المجال؟! ألسنا نرى كلّ سياسيٍّ يلي من الحكم أو الوزارة يأتي بأبناء طائفته وجماعته ليملأ بهم الدوائر الرسميّة حتّى صارت الوظيفة الرسميّة "تنفيعة للمحاسيب"، وباتت الدولة عاجزةً عن دفع رواتب موظّفيها!

وبالمقابل وكما يؤكّد الوزير فؤاد بطرس: "فمن المعروف أنّه في عهد الرئيس شهاب ولدت معادلة ٦ و٦ مكرّر في الوظائف العامّة أي اعتماد المناصفة في التوظيفات بعد أن جرى تطبيقها في الجيش اللبناني أثناء قيادته له".[٤]

شهاب أهمّ رئيسٍ حكم لبنان

ولا بدّ لنا من وقفةٍ عند استقالة الرئيس فؤاد شهاب سنة ١٩٦٠، لا سيّما وأنّنا بتنا نفتقد ثقافة الاستقالة في بلدنا، فما عدنا نسمع بمسؤولٍ مهما بلغت درجة خيبته وفشله يعزم على الاستقالة! بل على النقيض من ذلك تماماً، فكلّما

٤ بطرس، فؤاد (٢٠٠٩) المذكّرات، إعداد أنطوان سعد، تقديم خليل رامز سركيس، بيروت، دار النهار للنشر، ط١، ص١٠٣.

زاد فشله وتفاقم زاد تمسّكه بل تشبّثه بالكرسي وبالمسؤوليّة!

وخلافاً لكلّ ذلك، فالرئيس شهاب استقال إثر نجاحه في إعادة توحيد البلد وإنهاء الحرب الأهليّة فيه ووضع القطار على السكّة الصحيحة. والمؤلّفة الجبيليّة د. فاتن الحاج حسن لا تنسى الإشارة إلى دور العميد إدّة في ثني الرئيس عن قراره (ص٨٩): "أثّرت كلمة النائب ريمون إدّة كثيراً في نفس الرئيس فؤاد شهاب لأنّ ريمون إدّة كان قد نافسه سنة ١٩٥٨ على رئاسة الجمهوريّة، إذ قال له: إذا أصرّيت يا فخامة الرئيس على الاستقالة، فإنّك ستكون مثل الجندي الذي يفرّ من المعركة".

فها هو أحد أبرز أخصام الشهابيّة يرجو الرئيس شهاب العودة عن استقالته. وكنتُ في دراسةٍ آنفةٍ قد نقلتُ عن العميد خصم الشهابيّة العنيد قوله لي شخصيّاً في ت١٩٩٢/٢: "فؤاد شهاب هو أهمّ رئيس جمهوريّةٍ حكم لبنان". (**صليبا، لويس، لمحات، م. س، ص١٣٠**). والوزير فؤاد بطرس يروي موقفاً مماثلاً: "وقد بلغني أنّ عميد حزب الكتلة الوطنيّة ريمون إدّة، أشدّ معارضي العهد الشهابي ضراوة، اعترف في المرحلة الأخيرة من حياته أنّ ما كان يشكو منه في الستّينات، لا يمكن مقارنته مع ما جرى في لبنان في الآونة الأخيرة، وبأنّ عهد فؤاد شهاب كان بالنتيجة أفضل عهدٍ في لبنان مبدياً أسفه لمعارضته". (**بطرس، المذكّرات، م. س، ص٩١**).

ولا تغفل المؤلّفة ذكر موقف معارضٍ شرسٍ آخر للشهابيّة، أصرّ هو الآخر على الرئيس اللواء العودة عن الاستقالة، إنّه الرئيس صائب سلام الذي قال له يومها (ص٨٩): "وجودك ضمانة لبقاء لبنان، وبقاؤك في سدّة الرئاسة يلبّي رغبة كلّ لبناني".

وصائب سلام كان على رأس مضطهدي الشهابيّة والمكتب الثاني عندما تولّى رئاسة الحكومة في بداية السبعينات، ورغم ذلك فقد أقرّ في التسعينات كما أقرّ صديقه إدّة بريادة الرئيس شهاب. يروي عنه اللواء أحمد الحاجّ الحوار

التالي: "إنّي أسألك يا دولة الرئيس وأرجو أن تجيبني بصراحتك المعهودة لو أجرينا استفتاءً اليوم لتقييم عهد الرئيس شهاب، فماذا ستكون النتيجة؟ أجابني [الرئيس سلام]: الرئيس شهاب صار أسطورة. فودّعته قائلاً له: وصلني حقّي".[٥]

والمؤلّفة ليست ببعيدةً عن جوّ هذا التقييم العامّ للحكم الشهابي والذي أقرّ بريادته الخصوم والأعداء قبل المحبّين والأصدقاء، فهي تقول (ص١٠٢): "فرغم كلّ ما قيل عن فؤاد شهاب، فقد كان أفضل رئيس جمهوريّةٍ عرفه لبنان، وكان عصره عصراً ذهبيّاً دخل قصر الرئاسة نظيف الكفّ، وخرج منه حسبما يقتضيه الدستور".

الحسّ الشهابي المرهف

ولا يفوت المؤلّفة كذلك، وبحسّها الأنثوي اللطيف أن تلحظ في خاتمة مسألة الاستقالة (ص٩٠): "وساد الصمت في منزل الرئيس الذي بقي وحيداً مع زوجته يصغيان إلى أجراس الكنائس القريبة تُقرع فرحاً، ولا بدّ أنّهما تبادلا نظراتٍ استعادت دقّات الحزن التي قرعتها أجراس هذه الكنائس يوم ٣١ تمّوز ١٩٥٨ عندما انتُخب الجنرال رئيساً، وها هي الآن الأجراس ذاتها ترسل دقّات الفرح ابتهاجاً بعدول الرئيس عن استقالته (...) فقد انتُخب بالفعل رئيساً للجمهوريّة في ١٩٦٠/٧/٢٠".

وإنّنا لعلى يقينٍ أنّ تقييم دور الرئيس اللواء على حقيقته وفهم الحسّ الشهابي المرهف وتفهّم أبعاده يحتاج إلى حسّ أنثويّ واضح لتظهيره يسبر أعماق المشاعر ولا يتوقّف فقط عند الظواهر، وهو ما لم تقصّر المؤلّفة غالباً في تبيانه.

وبشأن مسألة الاستقالة وما يمكن أن يستخلص منها من عِبر، فإنّنا نوافق الباحث والمحلل السياسي باسم الجسر في ما خلُص إليه في هذا الموضوع: "أيّاً كانت الأسباب المباشرة أو العميقة، الشخصيّة أو المبدئيّة، فقد كانت استقالة

---

٥ الحاجّ، السفير اللواء الركن أحمد (٢٠١٢) من الجنديّة إلى الدبلوماسيّة، مقدّمة الرئيس حسين الحسيني، بيروت، دار النهار للنشر، ط١، ص٤٠٥.

الرئيس شهاب من الرئاسة وعودته عنها تحت إلحاح كلّ زعماء البلاد والشعب ونوّابه، علامةً مميّزةً في تاريخ السياسة اللبنانيّة، وأمثولةً في الزهد في المناصب، وفي مناقبيّة القيام بالواجب العامّ".[٦]

ناسك صربا الرئيس الزاهد

ولا تفوت المؤلّفة دة. فاتن الحاج حسن الإشارة إلى زهد الأمير اللواء وتقشّفه، وهي ميّزة ثابتة في شخصيّته وأدب حياته، ومن مقوّمات نجاحه في الحكم، تذكر مثلاً (ص٥١): "قصد مورفي والسفير الأميركي بيت قائد الجيش [اللواء فؤاد شهاب] في جونيه، فتفاجأ شهاب من الزيارة، كما تفاجأ ضيفاه من بساطة منزل قائد الجيش".

وهي ملحوظة في محلّها! وعن هذا التقشّف البالغ الدلالة يروي الوزير فؤاد بطرس: "ومن مميّزاته [الرئيس شهاب] أيضاً التجرّد ومراعاة المبادئ القانونيّة بكلّ دقّة والتقشّف، فلم يحبّ السهرات والحفلات والدعوات على مختلف أنواعها. وكانت حياته أقرب إلى التنسّك حتى إنّه دعي في وقتٍ من الأوقات ناسك صربا" (**بطرس، المذكّرات، م. س، ص١٠٤**).

ولكن هل كان هذا الناسك متطرّفاً في زهده وترفّعه؟ نقرأ لباسم الجسر مؤرّخ الشهابيّة الملحوظة التالية: "وفي الحقيقة تلك كانت نقطة القوّة والضعف في آنٍ في شخصيّة فؤاد شهاب وفي نهجه وحكمه. نعني ترفّعه عن السياسة وألاعيبها، وزهده في المناصب والسلطة، إذ كان يأنف خوض المعارك السياسيّة والنزول إلى الساحة، أو مخاطبة الجماهير والمواجهة العلنيّة لأخصامه أو قيادة حزبٍ سياسي. كما كان يأبى التخلّي عن دور الجندي الذي أجبرته الظروف على أن يقوم "بوظيفة" رئيس الجمهوريّة، ويخشى من ثبوت اتّهام أخصامه له بأنّه سعى إليها في أثناء قيادته للجيش". (**الجسر، م. س، ص٧٦**).

---

٦ الجسر، باسم (١٩٩٨) فؤاد شهاب، بيروت، مؤسّسة فؤاد شهاب، ص٤٤.

فهل يمكن أن يقال عن ناسك صربا أنّه أحجم وحين وُجبَ أن يُقْدم؟! وذلك في حقبات الاستحقاق الدستوري في ١٩٥٢، و١٩٦٤، و١٩٧٠ حين أصرّ، وأمعن في الإصرار، على أن يبعد عن نفسه "كأس" الرئاسة، فآلت إلى من قادوا البلد إلى الخراب؟!

الرئيس المتطرّف في اعتداله

ليس من شأن المؤرّخ ولا من مهمّة الباحث الأكاديمي تفحّص فرضيّاتٍ كهذه لم تحصل! وقد يكون الأمير اللواء المعتدل دوماً متطرّفاً في اعتداله، وذلك خلافاً للحكمة البوذيّة القائلة: "كن معتدلاً في كلّ شيء، بما في ذلك الاعتدال نفسه".[٧] و"الزايد خيّ الناقص" يقول المثل اللبناني، أو "كلّ شي زاد بالمعنى نقص".[٨]

ولعلّه كذلك لم يكن صبوراً بما يكفي رغم زهده، وبوذا يقول: "خير الزهد الصبر" (**صليبا، لويس، هكذا علّم، م. س، ص٢٧٢، ٣/٢٤**). فضاق ذرعه وعيل صبره من ألاعيب السياسيّين "أكلة الجبنة" Fromagistes ومماحكاتهم وهو القائل عند استقالته في ١٩٦٠/٧/٢٠:

J'en ai assez de ces politicards et de leurs acrobaties et qui ne cherchent par leurs manoeuvres que leur propre intérêt.

(**الحاجّ، من الجنديّة، م. س، ١٠٥**).

واللافت هنا أن اللواء أحمد الحاجّ الذي أورد هذه العبارة للرئيس شهاب المستقيل اكتفى بذكرها بالفرنسيّة، وتحاشى، عمداً ربّما، تعريبها، ذلك لأنّها تعرّض بالطبقة السياسيّة اللبنانيّة برمّتها! يقول شهاب ما ترجمته:

---

٧ صليبا، لويس (٢٠٢٤) هكذا علّم بوذا التأمّل والتصوّف وأدب الحياة، تقديم الحكيمة تنزين بالمو، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط١، ص٣٥٣، ١٥/٣٦.

٨ صليبا، لويس (٢٠٢٣) وجه أمّي وجه أمّتي: حكم وأمثال ونوادر ووجوه وأزجال من التراث اللبناني، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط١، ص١٩١.

"لقد طفح الكيل من هؤلاء الدسّاسين[٩] وبهلوانيّاتهم، فهم لا يبحثون من خلال مناوراتهم إلّا عن مصلحتهم الشخصيّة".

ولنلحظ هنا كيف أنّ الأمير أبى حتّى أن يدعوهم "سياسيّين" على ما يحمل هذا اللقب من سلبٍ وإيجاب، فقد اعتبرهم حتّى غير جديرين به، فسمّاهم "دسّاسين" Politicards أي دأبهم الدسّ وفبركة الدسائس والمؤامرات لتمرير مصالحهم الشخصيّة على حساب المصلحة العامّة. وهو بذلك قد أصاب كبد الحقيقة ووضع الإصبع على الجرح النازف منذ قيام لبنان الكبير ١٩٢٠ وحتّى يومنا هذا، فلبنان افتقد ولا يزال سياسيّين كباراً يعملون في سبيله بغضّ النظر عن المصالح الشخصيّة الضيّقة، و لم يعرف أو يُنشئ سوى "دسّاسين"!!

رئيس من خامة القدّيسين

ووسط "طبقة أكلة الجبنة" هؤلاء هل يصحّ أن نلوم الأمير على انزوائه وزهده بالسياسة وأهلها وبناسها كذلك؟

تحضرني في خلاصة هذا المبحث عن زهد الأمير طُرفة تروى عنه، وهو المحبّ للنكتة كما عُرف عنه: "في إحدى زيارات الرئيس فؤاد شهاب لمزار القدّيس شربل في دير عنّايا، خفّ رهبان الدير للسّلام عليه. فانبرى راهب يقول للرئيس شهاب: الناس عم ينتقدوك يا فخامة الرئيس، إنك ما بتحبّن، وما بتعيش معن، بتحبّ تعيش وحدك بعزلة، وأنا بعطيُن حقّ لأنّو بُعدك عن الناس ما طلع منّو شي. فحبكت النكتة عند شهاب وأجاب: بتقدّر يا محترم، لو القدّيس شربل عاش معكن ومع الناس كان طلع منّو شي؟".[١٠]

ولعلّ الأمير اللواء كان بالحريّ من خامة القدّيسين لا من طينة السياسيّين والدسّاسين كما يقول ويكرّر مراراً مرافقه الأمين العميد ميشال ناصيف.

---

٩ **Politicard**: دسّاس، شخص يتعاطى الدسائس السياسيّة.

١٠ الخويري (٢٠٠٧) أنطوان بطرس، تاريخ غزير السياسي والحضاري والاجتماعي، غزير/لبنان، منشورات بلديّة غزير، ط١، ص٤٢٠.

الانقلاب الفاشل والأدوار الخارجيّة

وتبقى مسألة محاولة الانقلاب الفاشلة على حكم الرئيس شهاب في ١٩٦١/١٢/٣١، والمؤلّفة تتبسّط في عرض تفاصيلها أمّا نحن فنكتفي بملحوظةٍ بشأنها، ألا وهي ما تنقله من تقريرٍ لكمال جنبلاط وزير الداخليّة يومها نشرته مجلّة الكفاح العربي في ١٩٦٢/١/٢٤ وجاء فيه (ص٩٥): "إنّ بعض أجزاء المؤامرة قد أُعدّ في روما، وكان السفير الإسرائيلي فيها يطّلع عليها، ويساهم في نسج خيوطها. كما أنّ أجزاء أخرى من المؤامرة أُعدّت في عمّان الأردن وفي لبنان بواسطة العملاء وفي طليعتهم قادة الحزب السوري القومي".

وكان جنبلاط قد أدلى بتصريحٍ نقلته مجلّة الصيّاد (ع٩٠٥، ١٩٦٢/١/١٨) وجاء فيه: "إنّ مؤامرة القوميّين كانت تستهدف لبنان وكيانه واستقلاله وتستهدف رؤوسنا جميعاً، وتستهدف أيضاً عودة الاستعمار والقواعد العسكريّة والأحلاف تنفيذاً لخطّة حماية المصالح البتروليّة في الخليج العربي بواسطة حكوماتٍ موالية لأرباب هذه المصالح، وكذلك لتدعيم وضع إسرائيل بشكلٍ نهائي".[١١]

أفيكون الفريق الأكثر عداوةً لإسرائيل وللصهيونيّة بل وحتّى لليهود قد عمل لمصلحة هذا الكيان الغاصب؟! تذكّرني هذه المفارقة التي يشير إليها كمال بك بحكمةٍ للمتصوّف "أبو يزيد البسطامي (١٨٨–٢٦١هـ) تقول: "أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارةً إليه".[١٢]

أيّاً يكن فالأمير اللواء برفضه توقيع أحكام الإعدام الصادرة بحقّ قادة هذا الانقلاب وإصداره مراسيم بتعديلها إلى السجن المؤبّد (ص٩٦) أظهر نبلاً وسماحاً فائقاً، وبيّن أنّه حاكم تاريخيّ يمنح العفو عند المقدرة.

---

١١ عيسى، د. غسّان (٢٠٠٧) العلاقات اللبنانيّة السوريّة، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ص٥٢٩.

١٢ صليبا، د. لويس (٢٠١٣) إشارات شطحات ورحيل: أناشيد ومختارات صوفيّة مع أبرز شطحات البسطامي والحلّاج ولوحات لعددٍ منها ودراسة لها، تقديم المستشرق بيير لوري، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط٣، ص٤٠.

المسيحيّون ومسؤوليّتهم عن وضعهم الحرِج

ووقفة تأمّلٍ وتبصّرٍ أخيرةٍ عند اثنتَين من مقولات الأمير اللواء. فقد عُرف عنه قول دأب على تكراره: "المسيحيّي لازم تعلّمن مصلحتن غصبن عنن". (**بطرس، المذكّرات، م. س، ص٦١**).

وهي مقولة صحّت مع الأسف، ولا تزال صحيحةً إلى حدٍّ بعيد. فطالما انجرف هؤلاء الذين يُدين لبنان الكبير لهم بنشأته وراء الأوهام والتطرّف والزعماء المتطرّفين، وأولئك الذين يزايدون برفع السقف وإطلاق الشعارات الطائفيّة المغالية وغير القابلة للتحقيق. وهم في ذلك غافلون عن أبسط حقائق التاريخ والجغرافيا، وأوّلها وأكثرها بداهةً أنّهم أقلّية صغيرة وسط بيئةٍ مختلفةٍ بل ومخالفة، ويسهل أن تتحوّل إلى معاديةٍ فتنقضّ على طموحاتهم المغالية هذه في أيّة لحظة. فإذا كانوا قد اختاروا، وخلافاً للأقلّية اليهوديّة في فلسطين، أن يعيشوا في وئامٍ وانسجامٍ مع الأكثريّة المحيطة بهم فعليهم أن "يدوزنوا" خياراتهم ويختاروا ممثّليهم ونوّابهم ويحدّدوا أهدافهم على ضوء هذه الحقيقة وبشيءٍ من الحكمة والواقعيّة والتروّي. وهم في الحقيقة قلّما فعلوا ويفعلون ذلك، إذ تصرّفوا ولا يزالون بانفعاليّةٍ استعلائيّةٍ وغرائزيّةٍ وطائفيّة، أو تبعاً لمصالحهم الشخصيّة والفرديّة الضيّقة!

وكم بالغوا في "سعدنة" الغرب في المظهر والاتّكال الكسول وغير المجدي عليه. وقد لخّص الأمير اللواء هذا الوضع المأزوم بما يلي: "اللبناني بيعرف شو بدّو، بس بيعمل غير ما بدّو... ما بعرف ليش بيلبس فرنجي، بس عقلو مش فرنجي".[١٣]

---

١٣ صافي، عزّت (٢٠٠٦) طريق المختارة زمن كمال جنبلاط، بيروت، دار النهار للنشر، ط١، ص٣٦٢.

لبنان يتألّف من سكّانٍ لا من مواطنين!

والمقولة الشهابيّة الثانية هي التالية: "لبنان يتألّف من سكّانٍ وليس من مواطنين". (**خويري، م. س، ص٤١٨**). ويروي السفير صلاح عبّوشي في السياق عينه وضمن وقائع إعداد البيان الأوّل للرئيس المنتخب فؤاد شهاب في ١٩٥٨/٨/٤ أنّه عند مراجعة النصّ وقراءة العبارة التي تشير إلى الثقة الغالية التي وضعها فيه مواطنوه طلب فخامته استبدال كلمة المواطنين بالشعب اللبناني الكريم".[١٤]

وهي حقيقة كانت ولا تزال، مع الأسف والحسرة، قائمة. فنحن في هذا البلد الصغير لم نتربَّ بعد على أسس المواطنيّة الصحيحة، ولا زلنا مجرّد سكّانٍ أو بالحريّ، نزلاء فندقٍ يتمتّعون ويستمتعون بكلّ الخدمات التي يوفّرها هذا الأوتيل، ويتهرّبون حتّى من دفع الفاتورة!

فمتى نجهد كي نحوّل أنفسنا من سكّانٍ ونزلاء إلى مواطنين؟! لا بدّ من مساعٍ وتربيةٍ طويلة الأمد في هذا السبيل. وغياب المواطنيّة الحقّة كان العامل الحاسم في تقويض الكثير من إصلاحات الرئيس شهاب! وقد أدرك، ومنذ البدء خطورة هذا الأمر، إذ روي عنه: "في إحدى الجلسات قال له أحد السياسيّين: يا فخامة الرئيس، أنت أنظف وأقوى رئيس جمهوريّة، ويمكنك جعل لبنان سويسرا الشرق فعلاً لا قولاً. فأجابه الرئيس شهاب: بس منين بدّك تجيب شعب سويسري". فقد كان يعتبر أنّ التربية المدنيّة والوطنيّة تنقص اللبناني".[١٥]

وكان الرئيس شهاب في مقارنته بين اللبناني والمواطن الغربي يرسم اللوحة التالية: "اللبناني بيشتري سيّارة أوروبيّة أو أميركانيّة. مش المهمّ اشتراها. المهمّ

---

١٤ عبّوشي، صلاح (١٩٨٩) تاريخ لبنان الحديث من خلال ١٠ رؤساء حكومة، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ص١٨٣.

١٥ بو لحدو، واكيم(١٩٩٦) فؤاد شهاب القائد والرئيس، حريصا/لبنان، مطبعة أنطون الشمالي، ط١، ص٨٥.

كيف بيسوقها. مع الأسف اللبناني بيسوق السيّارة بصبّاطو، بينما الفرنجي بيسوقها بعقلاتو" (**صافي، م. س، ص٣٦٢**).

فمتى نقود سيّارتنا، وبالتالي وطننا، بعقولنا؟!

فؤاد شهاب يجعلك تعتزّ بأنّك لبناني

فبناء دولةٍ عصريّةٍ قد لا يعصى على زعيمٍ تاريخيٍّ من طينة فؤاد شهاب، أمّا بناء وطنٍ فيشترط أوّلاً وجود مواطنٍ ومشاركته الفاعلة في ذلك. وطالما كرّرت روز رنيه بواتيو زوجة الرئيس شهاب في أواخر أيّامها: "معه حقّ في ما كان يقوله لي. بنى دولة، وأخفق في بناء وطن". (**ناصيف، نقولا، م. س، ص٥٣**).

فهل كانت أرملة الرئيس الشهابي محقّةً بدورها في قولها بأسى قبل وفاتها في كانون الثاني ١٩٩٢: "من حُسن حظّ فؤاد أنّه مات و لم يبصر ماذا يجري على أرض وطنه. لا يرى كيف يهدمون ما صنع". (**ناصيف، م. س، ص٥٣**).

والأمير اللواء كان قد رأى بحدسه ما سيحدث، وتمنّى أن يرحل قبل حصوله، فقال قبيل رحيله: "أرى لبنان مقبلاً على أيّامٍ سود. أرى برك دم. أرجو الله أن لا يجعلني أحضر هذه الأيّام". (**ناصيف، م. س، ص١٩**).

أيّاً يكن، فلن نسترسل في التشاؤم ونسرف في السوداويّة في ختام هذا التقديم، بل نكتفي بالقول: في الحقيقة عندما تقرأ، في سِفرٍ كهذا، شيئاً من أخبار الرئيس شهاب، فلعلّها تكون اللحظات الوحيدة والفريدة التي تشعر فيها باعتزازٍ بأنّك لبناني! وتلوح في ذهنك عندها بارقة أملٍ أنّ ذاك الذي قَيّض لهذا الوطن الصغير خادماً متواضعاً ومتفانياً مخلصاً كفؤاد شهاب لا بدّ أن يُقيّض له قلباً أي فؤاداً آخر يسير على "النهج" الذي أرساه وسار عليه الفؤاد الشهابي النابض الكبير.

QJCSTB

اللقلوق/جبيل في ٢٠٢٣/٩/٣

مُقدّمة المؤلِّفة

في خضمّ الحرب العالميّة الأُولى، عُقد مؤتمرٍ، سان ريمو وتمّ توقيع اتّفاقيّة سايكس بيكو وصولًا إلى إعلان دولة لبنان الكبير في ظلّ الانتداب الفرنسي. نضجت شروط استقلال لبنان الكبير عن فرنسا خلال الحرب العالميّة الثّانية، حيث أُعلن عن استقلال لبنان عن الانتداب الفرنسي يوم ٢٢ تشرين الثّاني من عام ١٩٤٣، كما أُعلن انتهاء الانتداب الفرنسي على لبنان وبالتالي جلاء القوّات الأجنبيّة عنه عام ١٩٤٦.

في بداية الخمسينات من القرن العشرين، بدأت عوامل المنافسة السياسيّة الداخليّة تبلغ أوجها ما بين الأحزاب اللبنانيّة، وبدأ الصراع يتصاعد، ووصل إلى حدّ تبادل الاتّهامات باستغلال النفوذ والتدخّل في عمل القضاء وبالفضائح الماليّة والاغتيالات، ما أدّى إلى إعلان قائد الجيش الجنرال فؤاد شهاب، تكليف الجيش بحفظ الأمن والنظام، ولكنّه رفض استخدام القوّة ضدّ الشعب، ولا سيّما في أزمة عام ١٩٥٢ (التي أفضت إلى استقالة الرئيس بشارة الخوري وانتخاب الرئيس كميل شمعون خلفًا له)، وكذلك في أزمة عام ١٩٥٨ (التي تخلّلتها أحداث دامية في ما سُمّي بالثّورة).

لم يكن اختيار قائد الجيش فؤاد شهاب مفاجئًا ليكون رئيسًا للجمهوريّة اللبنانيّة، إذ تضافرت عوامل عدّة على تزكيته. فقد ورد اسمه خلال المفاوضات الأميركيّة مع الرئيس المصري جمال عبدالناصر في تلك الفترة ومنذ عام ١٩٥٨، ثمّ إنّه كان يُلبّي الشرط الذي وضعه الرئيس الأميركي أيزنهاور، إذ طالب برئيسٍ عسكريّ. وهكذا حصل في ٣١ تمّوز من عام ١٩٥٨ بعد اجتماع البرلمان اللبنانيّ، فانتُخب فؤاد شهاب رئيسًا للجمهوريّة بأكثريّة ٤٨ صوتًا من أصل ٧٧، حيث جاء بعدما عصفت الفوضى بلبنان، وكادت أن تأخذه إلى مسارٍ لا تحمد

عُقباه من انقساماتٍ حادّةٍ في الشارع اللبنانيّ، ومن تنازعٍ بين الأحزاب، أدّى إلى مفترقٍ خطيرٍ جدًّا من تاريخ لبنان المعاصر.

وهكذا جاء قائد الجيش اللبنانيّ فؤاد شهاب إلى رئاسة الجمهوريّة، وترك أثرًا طيّبًا في ذاكرة اللبنانيّين وتاريخهم المعاصر، بسبب ما عُرف عنه من مواقف وطنيّةٍ مخلصة، وبفضل رؤيته الموضوعيّة لمستقبل وطنه. وعلى ذلك، يمكن وصفه بأنّه رجل حلِّ الأزمات، لذا فقد حظي بقبول وتأييد أغلب فئات الشعب اللبنانيّ، فضلًا عن ذلك كلّه احترامه وتقديره للمؤسّسة العسكريّة، فقد حرص على أن تكون مؤسّسة الجيش بعيدةً عن كلّ التجاذبات السياسيّة والدينيّة والعرقيّة، وأثبتت الأحداث صحّة نهجه الوطني. وعندما تهيّأت الظروف السياسيّة، وكُلّف بإدارة الدولة بصفته رئيسًا للجمهوريّة بين عامَي (١٩٥٨ – ١٩٦٤) ازدادت مسؤوليّته تعقيدًا، ولا سيّما أنّ البلد قد شهد متغيّراتٍ سريعةً وتناقضاتٍ شرسةً تخلّلتها، كما سبق وذكرنا، أزمات حادّة داخليّة غذّتها جهات خارجيّة لها أغراض ومصالح مشتركة محليّة وإقليميّة ودوليّة.

لقد طغت شخصيّة فؤاد شهاب، وطغى مشروعه السياسي والاجتماعي الإصلاحي، وكان الرجل قد استخلص دروسًا ثمينةً من خبرته كقائدٍ للجيش، ومن تجربته في أزمة ١٩٥٢ وثورة عام ١٩٥٨، لعلاقته الوثيقة بضبّاط الصفّ والجنود الوافدين بمعظمهم من الأطراف، ما جعله مُدركًا للآثار الاجتماعيّة والسياسيّة للتفاوت بين المناطق اللبنانيّة، ما فسّر له ثورة بعض سكّان المناطق – وجلّهم من المسلمين – على الدولة وسلطاتها الشرعيّة.

وعلى صعيدٍ آخر، بدأ عهده بتحسين أجواء العلاقات اللبنانيّة مع الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بعد عداءٍ ونفور، فافتتح عهده بلقاءٍ مع الرئيس جمال عبد الناصر على الحدود اللبنانيّة – السوريّة (لقاء الخيمة)، وقرّر اعتماد سياسة الحياد في النزاعات العربيّة.

ومن جانبٍ آخر، كرّس أوّل سنتَين من عهده لتحقيق الانفراج في العلاقات الداخليّة، ومناشدة اللبنانيّين بأن يُعيدوا بناء وحدتهم الوطنيّة، والإصرار على المساواة بين الناس، وكذلك سعى – عبر خطابٍ له – إلى الإصلاح الاجتماعي الشامل، وبناء المجتمع الجديد الذي يتمتّع بالازدهار، وعلى الاهتمام باللبنانيّين المحرومين مُطالبًا البعض بأن يُضحّي، والبعض الآخر بأن يتحلّى بالصبر.

لقد كان مشروع الرئيس فؤاد شهاب على الصعيد السياسيّ يتميّز بأربع مزايا مترابطة، وهي: العمل على تزويد الوطن بطاقمٍ بديلٍ عن الزعامات التقليديّة وذلك باستيعاب الأفرقاء المتقاتلين في أحداث ١٩٥٨، وعمل كذلك على الاعتماد على الجيش والأجهزة الأمنيّة والتكنوقراط قاعدةً للحكم، وكذلك نقل مركز السلطة من الجهاز التشريعيّ إلى الجهاز التنفيذيّ، وعمل على صعود قادةٍ جددٍ تدعمهم الأجهزة الأمنيّة من أجل تنامي أكثريّةٍ نيابيّةٍ مُتماسكة.

وأمّا على الصعيد الإداري، فقد سعى الرئيس شهاب للإصلاح الإداري، بإنشاء بنيةٍ إداريّةٍ تكون موازيةً للإدارة التقليديّة، لإبعاد تسلّط الإقطاع السياسي عن الادارة، وكذلك لبناء قطاعٍ عامٍّ حديث. وفي عهده، شجّع التوظيف على قاعدة الكفاءة والاختصاص عبر إنشاء مؤسّساتٍ رسميّةٍ جديدة، في مقدّمها مجلس الخدمة المدنيّة المتخصّص بإجراء امتحاناتٍ لوظائف الإدارات والمؤسّسات العامّة، استنادًا إلى مبدأ إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، وأراد تصحيح إخفاقات النظام الطائفي بإرساء قواعد العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والإداريّة.

ومن جانبٍ آخر، بادر الأمير اللواء إلى الاهتمام بالتعليم والإدارة، والاهتمام بالطبقة الوسطى من ناحية التوجّه التعليمي، حيث بدأ النموّ المتسارع للجامعة اللبنانيّة الحكوميّة. وكذلك شهدت الدولة اللبنانيّة في العهد الشهابي دورًا نشطًا في التنمية المناطقيّة، وفي تعديل التوزيع الاجتماعيّ لنتائج النموّ الاقتصاديّ، حيث أُنفقت في عهد الرئيس شهاب أموال كثيرة، لإنشاء بنيةٍ تحتيّة، ولتوحيد

السوق الداخليّ من خلال توسيع شبكة المواصلات، وجرّ المياه، وإيصال الكهرباء إلى المناطق والقرى النائية، وبناء المستشفيات والمستوصفات في القرى.

نرى من كلّ ذلك، أنّ الوضع السياسيَ في عهد الرئيس فؤاد شهاب – سواء أكان على الصعيد الداخلي، أو على الصعيد الخارجي – قد شهد تغييرًا كبيرًا في واقع الدولة اللبنانيّة من جميع النواحي، أثّر في عهده وفي مسار العهود التي تلت بعد انتهاء مُدّة رئاسته عام ١٩٦٤، والتي اصطُلح على تسميتها "بالعهد الشهابيّ".